

وسائل الدعاية السياسية السلبية والهجوم على المصلحين
(رؤية قرآنية – إعلامية)

**The Means of Political Propaganda and the Attack on the
Reformers**

(A Quranic – Mass communication Pererspective)

Abdulhamid Mohamed Ali Zaroum

Department of Fiqh & Usul Al-Fiqh, Kulliyah of Islamic Revealed Knowledge and Human
Sciences, International Islamic University Malaysia,
53100, Jalan Gombak, Kuala Lumpur, Malaysia.
Tel: +60166840432 E-mail: alzaroumi@iiium.edu.my

ملخص البحث

تعالج هذه الورقة خطورة التضليل الإعلامي الذي يمارسه أعداء الحق والصلاح، ضد دعاة الحق والصلاح والإصلاح والإرشاد في المجتمعات؛ وذلك بغية صرف الجماهير عنهم، والحيلولة دون وصول كلمة الحق إلى الخلق. محور هذه الدراسة وسائل الدعاية السلبية، والهجوم على الأنبياء والمصلحين، من منظور قرآني-إعلامي. ومن أهم وسائل الدعاية السلبية التي تعرض لها هذا البحث: الهجمة الإعلامية الشرسة التي تشنها القيادات المستكبرة ضد الأنبياء وأتباعهم، همزاً، ولمزاً، وتعريضاً، وتشهيراً وتنفيراً للأتباع وإن لم يُجد كل ذلك نفعاً، تحوّل الأمر إلى هجوم مباشر؛ ضرباً، وتعذيباً، وتقتيلاً وتشريداً. ومن وسائل الدعاية السياسية التي توخى الباحث دراستها: المقارنة المباشرة التي يعقدها المستكبرون؛ لإثبات أحقيتهم بقيادة شعوبهم من جهة، وإثبات عدم أهلية الأنبياء والمصلحين للقيام بذلك من جهة أخرى، إضافة إلى المقارنة الضمنية. تم اتباع المنهج الاستقرائي التحليلي التاريخي المقارن. ومن بين ما توصلت إليه الدراسة أن الإعلام سلاح ذو حدين، فقد كان وسيظل الفيصل في تزييف الحقائق، وتميع القضايا الرئيسية للشعوب، وفي تعرية خبث المستبدّين، وكشف تلاعبهم بالعقول، ولهذا نجد القرآن لا ينفك يدعو أتباعه إلى استخدام العقل، وعدم الانصياع إلى أقاويل المرجفين، وإشاعات المبطلين، وتهديدات المستبدّين المستكبرين.

وقد سبق القرآن الكريم

كل العلوم الحديثة، ومنها فن الإعلام، وعلم الاتصال، في تناوله لوسائل وأساليب الاتصال الجماهيري، والدعاية السياسية السلبية، والهجوم على الأنبياء والمصلحين. **كلمات مفتاحية:** المنظور القرآني، الإعلام، الدعاية السياسية، التضليل الإعلامي، المصلحين.

Abstract

This paper addresses the danger of disinformation and deception practice by the enemies of truth and righteousness, against the advocates of truth, righteousness, reform and guidance in societies, in order to dispel the masses from them and to prevent the public from knowing the truth. The focus of this study revolves around the means of negative propaganda, and the attack on the prophets and reformers, from the Quranic-communication perspectives. The most important means of negative publicity discussed in this research: the vicious media attack launched by the arrogant leaders against the prophets and their followers, be it in the form of slandering and backbiting or harassment, or intimidation or causing the aversion of the followers and if all of these were proven to be useful, it turned into a direct physical attack; beating, torture, and abhorrent. One of the means of political propaganda that the researcher intended to study: the direct comparison held

by the overbearing political leaders to prove their right to lead their people on the one hand, and prove the incapacity of the prophets and reformers to do so on the other hand, in addition to the implicit comparison. Thus, comparative, historical and analytical methods have been used in this research. Among the findings of the study is that media is a double-edged sword; it would continue to falsify the facts, dilute the main issues of the people, expose the tyranny of tyrants, and expose their manipulation of the minds. The Qur'an continues to call upon its followers to use reason, not to obey the words of the ascetics, the rumors of the deceiver, and the threats of the arrogant tyrants. That is why we find The Holy Quran has preceded all modern sciences, including media and communication, in dealing with means and methods of mass communication, negative political propaganda, and attack on prophets and reformers.

Keywords: Qur'anic Perspective, Media, Political Propaganda, Media Misinformation, Reformers.

مدخل اصطلاحى الدعاية

يرجع أصل مصطلح الدعاية إلى congregation de propaganda fide تجمع نشر العقيدة الذي أسسته الكنيسة الكاثوليكية سنة 1622م. وقد تم هذا أثناء حركة الإصلاح، حيث كانت مجموعات عديدة تنفصل عن سلطة الكنيسة الكاثوليكية، وقد أسس هذا التجمع؛ كجزء من مقاومة الكنيسة لحركة الإصلاح هذه (Severin, 1997)

والدعاية عموماً تعني: «الانتقاء المحسوب للرموز، وترويجها؛ للتأثير على السلوك الجماهيري» Al-Alim, (2005)، أما الدعاية السياسية، فهي عبارة عن عملية التلاعب بالعقول، وإثارة العواطف؛ بقصد الوصول إلى تشويه التابع المنطقي (Al-Alim, 2005)، فالدعاية السلبية غالباً ما تكون دعاية سياسية تضع - صراحة أو ضمناً - المعارض في مرتبة وضيعة (Johnson, 1997). وحينما يتصل الأمر بالدعاية السلبية ضد القيادة

السياسية أو الاجتماعية؛ فإن أهم نقطة يحاول القائلون على الدعاية السلبية السياسية إثارتها، هي مدى صلاحية ذلك القائد للقيادة. بمعنى آخر: إن التساؤل الذي يطرح هو: هل لهذا القائد، أو ذلك، مقدرة قيادية تحوّله لأن يكون أهلاً للزعامة، أم لا؟ وهناك ثلاث وسائل يمارسها محترفو التضليل الإعلامي في هذا المجال: الهجوم المباشر، والمقارنة المباشرة، والمقارنة الضمنية.

الهجوم المباشر

تتفاوت مراتب ومراحل الهجوم المباشر على الأنبياء والمصلحين بتفاوت القيادات المستكبرة، واختلاف طبائعها، كما تختلف طبيعة الهجوم المباشر باختلاف الزمان والمكان. فمن الطواغيت من يبدأ دعايته السياسية السلبية بالهمز، واللمز، والتعريض بالمنافسين، والتشهير بهم، ويتبع في ذلك أساليب التشويه المتعمد. وإذا وجد أن لا جدوى من هذه الوسيلة، استخدم الشتم، والكلمات النابية التي لا تطلق على أحد إلا إذا تحقق اتصافه بها، ناهيك عن الرسل والمصلحين. فإذا أعياه ذلك، لجأ إلى الأذى، والتعذيب، وما يصحب ذلك، وقد يبدأ بعض الطواغيت من حيث ينتهي بعضهم، أي يلجأ إلى العنف بادئ ذي بدء، ولكن جرت العادة أن تستخدم القيادة السياسية المستكبرة كل هذه الوسائل في آن واحد؛ حتى تتمكن من كسر شوكة المعارضة، وتخطيط الخصوم السياسيين معنوياً. كما تستخدم القيادة السياسية المستكبرة في دعايتها السلبية الفكاهة؛ لتثير السخرية من المناوئين لها من جهة، ولتعزز من موقفها في الانتخابات من جهة أخرى، أو لتكرس دكتاتوريتها الشمولية من جهة ثالثة (Seiler, 2002).

الهمز واللمز .. والاستهزاء والسخرية

يسخر المستكبرون من كل مصلح، ويستهزئون بكل من يقف عقبة في سبيل تلاعبهم بعقول الجماهير، حتى الخالق - جل في علاه - قد يتعرض إلى سخريتهم. وقد سلكت القيادات المستكبرة وسائل شتى، منها:

أ. الاستهزاء بالله - جل وعلا- (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيَ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضُهُ فَمَّا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا

يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفٰسِقِينَ) (Al-Quran 2:26).
 ب. الاستهزاء بالمرسلين (يُحَسِّرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) (Al-Quran 36:30).
 ج. الاستهزاء بأصحاب الحق من الدعاة والمصلحين (رَبِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَاللّٰهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (Al-Quran 2:212) (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ) (Al-Quran 83:29-32) (وَيْلٌ لَّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ) (Al-Quran 104:1) قيل إنها نزلت في الأحنس بن شريق، وقد كان يلزم الناس ويعيبهم مقبلين ومدبرين، وقيل: إنها نزلت في الوليد بن المغيرة، وقد كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من ورائه، ويقدم في وجهه. وقيل: نزلت في أبي بن خلف، وقيل: في جميل بن عامر الثقفي. ومهما يكن سبب نزولها، فإن ما تحمله من تهديد، يكفي لتصور ما ينتظر الهمّاز اللماز من الثبور والهلاك، وهو الويل الذي ذكرته سورة الهمزة (وَيْلٌ لَّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ) (Al-Quran 104:1) والعذاب المهين الذي هدّدت به سورة الجاثية (وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) (Al-Quran 45:9) (وَإِذَا رَأٰهُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهٰذَا الَّذِي يَدْعُرُكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمٰنِ هُمْ كٰفِرُونَ) (Al-Quran 21:36) (وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللّٰهُ رَسُوْلًا) (Al-Quran 25:41) (وَقَالُوا مَا لَ هٰذَا الرَّسُوْلُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْاَسْوَاقِ لَوْلَا اُنزِلَ اِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُوْنُ مَعَهُ نَذِيْرًا) (Al-Quran 25:7) إنها قصة الاعتراض على بشرية الرسول واتصافه بصفات الآدمية. كيف يدعي أنه رسول؟! وفي الوقت ذاته لا يتميز عنا في تصرفاته، إذ إنه يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق؛ ليكسب رزقه (وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ اِلَيْكَ حَتّٰى اِذَا خَرَجُوْا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوْا لِلَّذِيْنَ اُوْتُوْا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ اَنْفَا اَوْلٰئِكَ الَّذِيْنَ طَبَعَ اللّٰهُ عَلٰى قُلُوْبِهِمْ وَاتَّبَعُوْا اَهْوَاؤَهُمْ) (Al-Quran 47:16) هم جماعة ابن سلول، يحضرون الجمعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا سمعوا ذكر المنافقين فيها أعرضوا عنه، فإذا خرجوا، سألوها عنه علماء الصحابة، كابن مسعود؛ استهزاءً وسخرية (Al-Quran 1999). ولهذا المستكبر موقف مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم تجاوز فيه حدود الأدب، حيث إنه قال للرسول صلى الله عليه وسلم: لقد أذيتنا برائحة فرسك. وكان يتهم هو ومن معه من المنافقين الرسول صلى الله عليه وسلم بالظلم ومجافاة العدالة في توزيع الصدقات (وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَاِنْ اَعْطُوْا مِنْهَا رَضُوْا وَاِنْ لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا اِذَا هُمْ يَسْخَطُوْنَ) (Al-Quran 9:58). وبلغ من استهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا: ما أنزل الله الوحي إلا على يتييم أبي طالب؟

(publication of AL- Sabouni, No date) وهذا هو ما تشير إليه الآية الكريمة (وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُوْرُهُمْ وَمَا يُعْلِنُوْنَ) (Al-Quran 28:69). وحينما قص عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ليلة أسري به، وأنه جاء بيت المقدس، وصلى فيه، ضجّ القوم بين مصقّق ومصقّر؛ استهزاءً، وتكديبا، واستبعادا لخبره (AL- Obeidi, No date of publication)، وقد كشف الله - تعالى - سوء طويتهم واستهزائهم برسولهم (حٰنُ اَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمْعُوْنَ بِهٖ اِذْ يَسْتَمِعُوْنَ اِلَيْكَ وَاذْهُمْ يَخُوْى اِذْ يَقُوْلُ الظّٰلِمُوْنَ اِن تَتَّبِعُوْنَ اِلَّا رَجُلًا مَّسْحُوْرًا) (Al-Quran 17:47)؛ فالله أدرى بالوجه الذي يستمعون به، وهو الهزء والتكذيب. وقد كانوا يجالسون النبي صلى الله عليه وسلم ويستمعون إلى حديثه. (Al-Razi, 1992)

إن أسلوب السخرية والاستهزاء بالدعاة للنيل منهم وتحطيمهم، أسلوب قديم سلكته كل القيادات المستكبرة مع الرسل وأتباعهم، ولم ينج منه أحد من الرسل والمصلحين (يُحَسِّرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) (Al-Quran 36:30) (وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) (Al-Quran 43:6-7)، وقد استخف المستبدون من قوم إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - برسالة نبيهم، ونعتوا ما جاءهم به بأنه محض لعب (قَالُوا اَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ اَمْ اَنْتَ مِنَ اللَّعِيْنِ) (Al-Quran 21:55) وأساء منهم مستكبرو قوم نوح، فقد جعلوا يمزون به ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي صار نجارا (Al- Qurtubi, 1999) (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ اِن تَسْخَرُوْا مِنّٰ فَاِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُوْنَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُوْنَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) (Al-Quran)

(11:38-39).

إن القرآن الكريم يسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان يضيق ذرعاً باستهزاء القيادات المستكبرة به وبدعوته، ويقلب له صفحات تاريخ الرسل الذين ووجهوا بما ووجه به (وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) (Al-Quran 13:32) (وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) (Al-Quran 6:10). وقد كفى الله رسوله صلى الله عليه وسلم شر المستهزئين الذين كان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأقوالهم، وسخريتهم منه، ومن آمن بدعوته (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ، الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ، وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ يُضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّن السَّاجِدِينَ، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) (Al-Quran 15:95-99).

ومن أشهر المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وسلم ممن تشير الآية الكريمة إلى هلاكهم (Abul Abbas, No date) of publication):

أ) الأسود بن عبد يغوث بن وهب – ابن خال النبي – وكان يقول للرسول صلى الله عليه وسلم مستهزئاً: أما كلّمت اليوم من السماء يا محمد! ويقول ساخراً بأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم: قد جاءكم ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسرى وقيصر (Ibn-Hisham, 1955).

ب) الأسود بن عبد المطلب. كان كثير التغامز بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد دعا عليه الرسول صلى الله عليه وسلم بالعمى وفقد الولد؛ لما رأى منه من تجاوز. وفيه وفي أمثاله نزلت آيات قرآنية (إِنَّ الَّذِينَ أَحْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ، وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ، وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ، وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ) (Al-Quran 83:29-32).

ج) الحارث بن قيس السهمي، الذي كان يستهزئ بفكرة البعث بعد الموت ويقول: لقد غرّ محمد نفسه وأصحابه أن وعدهم أن يحيوا بعد الموت، والله ما يهلكنا إلا الدهر ومرور الأيام والأحداث. وفيه نزل قوله تعالى: (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هُوَ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا) (Al-Quran 25:43) (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هُوَ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ

وَوَخَّتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِّن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (Al-Quran 45:23)، فقد كان يأخذ الحجر ويعبده، فإذا رأى أحسن منه تركه وأخذ الأحسن، كما تفعل بعض القيادات المستكبرة في عصرنا هذا، تتجول في النظم الوضعية وتجربها مذهباً إثر مذهب، كأن الشعوب حقل تجارب؛ تجرب فيها كل قوانين الغاب، وشرائع الذئاب، إلا شريعة رب الأرباب. (د) العاص بن وائل السهمي، وفيه نزل قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا، أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا، كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا، وَنُرْسِلُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا) (Al-Quran 19:77-80).

هـ) الحكم بن أبي العاص، وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمعه ما يكره، و إذا مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم مشى خلفه يغمزه بأنفه وفمه استهزئاً.

و) أبو لهب، وزوجته، وابنهما عتيبة الذي كان يقول: أنا كافر برب النجم. وذلك إذا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ، وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ) (Al-Quran 53:1-8).

ز) مالك بن الطلاللة بن عمرو بن غبشان.

ح) أبو جهل عمرو بن هشام، الذي خاطب قريشاً عندما أنزل الله عز وجل (إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ، طَعَامُ الْأَثِيمِ، كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ، كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ) (Al-Quran 44:43-46)، فقال تخويفاً لهم: يا معشر قريش، هل تدرّون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد؟ قالوا: لا، قال: عجوة يثرب بالزبد! والله لئن تمكنا منها لنتزقمن منها. (Ibn Hisham, No date of publication)

ط) رؤوس الكفر من قريش، كالوليد بن المغيرة، وعقبة بن أبي معيط، والأخنس بن شريق، وأبي بن خلف، والنضر بن الحارث. وجميع هؤلاء ماتوا ميتة سيئة، وسيأتون يوم القيامة في حالة يرثى لها من المذلة والهوان (وَيَوْمَ يَعْصُ الزُّطَامُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا، يُؤِيلُنِي لَيْتَنِي لَمْ اتَّخَذْ قُلَانًا خَلِيلًا، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ

بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (Al-
25:27-29). (Quran 25:27-29).

السب والشتم

يتجاوز المستكبرون وسيلة الهمز، واللمز، والاستهزاء، إلى وسائل أحسن منها في التعامل مع أصحاب الحق. وفي مقابل ذلك، فقد كان عليه الصلاة والسلام رقيق المشاعر، نقي السريرة، يؤلمه أن يرى قومه يتخبطون في مستنقع الشرك، فكان يتمنى لهم الهداية، وكان يزيد من ألمه أن يواجه بالتكذيب، ويرمى بالجنون والسحر، ويتهم بالكذب والافتراء، كما أنهم من سبقه من الرسل (قَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُ لِيَحْزُنُنَاكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَايَتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ، وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبِّرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبِيِّ الْمُرْسَلِينَ، وَإِنْ كَانَ كَبِيرًا عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْتَبِغِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلَّمَا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ) (Al-
6:33-35). (Quran 6:33-35). يروى أن أبا جهل لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فصافحه، فقال له رجل: أراك تصافح هذا الصابئ؟! قال: والله إني لأعلم أنه لني، ولكن متى كنا لبني عبد مناف تبعاً؟ وقال في رد على سؤال وجهه إليه الأخنس بن شريق بشأن الرسول صلى الله عليه وسلم: أصادق هو أم كاذب؟ ويحك، والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء، والسقاية، والحجابه، والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟! (Ibn Kathir, 1994) وقد قال هذا المستكبر يوماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب ما جئت به (Ibn Kathir, 1994)

ومن السباب والشتائم التي يزيّن بها

المستكبرون دعايتهم السياسية السلبية ضد الرسل والمصلحين:

أ) كذاب: يبدؤون الشتائم بقولهم: «نظنك من الكاذبين». قبل إطلاق اسم المبالغة «كذاب». وفي ذلك دلالات سياسية تضليلية؛ فلو قالوا منذ البدء: «كذاب»، ربما أخفق تضليلهم؛ لكونهم اتهموا منافسهم السياسي بالكذب قبل وضعه على المحك، وثبوت الكذب

عليه. فكأنهم يريدون أن يثبتوا للجماهير موضوعيتهم، وأنهم ما اتهموا منافسيهم جزافاً، وإنما لتحقيق ما وصفوا به - وهو الكذب - من خلال التجارب المتكررة. ويعرض لنا القرآن نماذج لهذا النوع من التضليل الإعلامي من المملأ الذين استكبروا من فرعون وملئه، وقوم نوح، وقوم شعيب، ورؤوس الكفر من (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهَامُنُ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أُطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ) (Al-Quran 28:38) (وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ) (Al-Quran 26:186) (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَكُ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا تَرَكُ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدَى الرَّأْيِ وَمَا تَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ) (Al-Quran 11:27) (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) (Al-Quran 7:66) (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامُنُ ابْنِ لِيصْرَحًا لَّعَلِّي أَبْلُغَ الْأَسْبَابِ، أَسْبَابَ السَّمُوتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كِيدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ) (Al-Quran 40:36-37) (ءَأَلْقَى الدُّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ) (Al-Quran 54:25) (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ) (Al-Quran 38:4) (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَنٍ مُّبِينٍ، إِلَى فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ) (Al-Quran 40:23-24).

ب) مفتر: ثم يأتي الشتم بالافتراء، فمن ثبت عليه الكذب سهل عليه الافتراء، لا على الجماهير فحسب، وإنما على الرب أيضاً. وهكذا يضلل المستكبرون عموم الشعب باتهام الرسل والمصلحين بأنهم مختلقون يفترون على الله الكذب. حيث يبدؤون تضليلهم بمحاولة إثبات أن ما يقوله الرسل والمصلحون بهتان افتروه واختلقوه من عند أنفسهم، وأعانهم عليه آخرون من الجن والإنس، وصولاً إلى محاولة إثبات الافتراء على الله، ثم يأتي الشتم المقذع «مفتر» بصيغة اسم الفاعل؛ لإسقاط الهيبة والاحترام الذي يحظى به الرسل والمصلحون عند الجماهير (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ

مَنْ ذُوْنَ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ) (Al-Quran 10:38) (وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا اِنْ هٰذَا اِلَّا اِفْكٌ افْتَرٰهُ وَاَعَانَهٗ عَلَيْهِ قَوْمٌ اٰخَرُوْنَ فَقَدْ جَاءُوْا ظُلْمًا وَّزُوْرًا) (Al-Quran 25:4) (اِنْ هُوَ اِلَّا رَجُلٌ افْتَرٰى عَلٰى اللّٰهِ كَذِبًا وَّمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِيْنَ) (Al-Quran 23:38) (اَفْتَرٰى عَلٰى اللّٰهِ كَذِبًا اَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِالْاٰخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلٰلِ الْبَعِيْدِ) (Al-Quran 34:8) (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ اَلْسِنَتُهُمْ وَاَيْدِيهِمْ وَاَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ) (Al-Quran 42:24) (وَاِذَا بَدَلْنَا اٰيَةً مَّكَانَ اٰيَةٍ وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ قَالُوْا اِنَّمَا اَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ) (Al-Quran 16:101).

ج) ساحر: اِنْ سَبَّ دَعَاةَ الْحَقِّ، ووصفهم بالسحرة، أمران قديمان لازما قادة كل الدعوات الإصلاحية (كَذٰلِكَ مَا اَتٰى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ رَّسُوْلٍ اِلَّا قَالُوْا سٰحِرٌ اَوْ مَجْنُوْنٌ) (Al-Quran 51:52) (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِيْ هٰذَا الْقُرْاٰنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلٰكِنْ جِئْتَهُمْ بِاٰيَةٍ لَّيْقُوْلُوْنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا اِنْ اَنْتُمْ اِلَّا مُبْطَلُوْنَ) (Al-Quran 30:58) (وَقَالُوْا يَا اَيُّهَ السَّٰحِرِ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عٰهَدْتَ عِنْدَكَ اِنَّا لَمُهْتَدُوْنَ) (Al-Quran 43:49) (فَتَوَلّٰى بِرَبِّكَهٗ وَقَالَ سٰحِرٌ اَوْ مَجْنُوْنٌ) (Al-Quran 51:39) (وَعَجِبُوْا اَنْ جَاءَهُمْ مِّنْ ذَرٍّ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُوْنَ هٰذَا سٰحِرٌ كَذٰبٌ) (Al-Quran 38:4) (وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا مُوسٰى بِاٰيٰتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِيْنٍ، اِلٰى فِرْعَوْنَ وَ هٰمٰنَ وَقَارُوْنَ فَقَالُوْا سٰحِرٌ كَذٰبٌ) (Al-Quran 40:23-24) ويلاحظ في دعاية المستكبرين السلبية ضد أصحاب الحق، ووصفهم باحتراف السحر، وإثبات تفوقهم في صنعة السحر (اَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا اَنْ اَوْحَيْنَا اِلٰى رَجُلٍ مِّنْهُمْ اَنْ اَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اَنْ هُمْ قَدَمٌ صٰدِقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكٰفِرُوْنَ اِنْ هٰذَا لَسٰحِرٌ مُّبِيْنٌ) (Al-Quran 10:2) (قَالَ لِلْمَلَآءِ حَوْلَهٗ اِنْ هٰذَا لَسٰحِرٌ عَلِيْمٌ) (Al-Quran 26:34).

د) مجنون: يرتبط وصف الدعاة بالجنون بالسحر عموماً؛ لارتباط السحرة بأوليائهم الشياطين. وقد أدرك المستكبرون هذه العلاقة؛ فعملوا على تغيير الجماهير من الرسل بيث دعاية سلبية فحواها: أن الرسل سحرة مجانين، ليس ما يدعون من عند الله، بل من وحي الشياطين (كَذٰلِكَ مَا اَتٰى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ رَّسُوْلٍ اِلَّا قَالُوْا سٰحِرٌ اَوْ مَجْنُوْنٌ) (Al-Quran 51:52)، وقد ورد هذا

الوصف في الآية (39) من نفس السورة (سبق ذكرها) (وَقَالُوْا يَا اَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ اِنَّكَ لَمَجْنُوْنٌ) (Al-Quran 15:6) (قَالَ اِنَّ رَّسُوْلَكُمْ الَّذِي اُرْسِلَ اِلَيْكُمْ لَمَجْنُوْنٌ) (Al-Quran 26:27) (وَيَقُوْلُوْنَ لِمٰنَا لَتُرْكُوْا اِلٰهِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُوْنٍ) (Al-Quran 37:36) (تَمَّ تَوَلّٰوْا عَنْهُ وَقَالُوْا مُعَلَّمٌ مَّجْنُوْنٌ) (Al-Quran 44:14).

هـ) سفية: ومن الشتائم التي يقابل بها المستكبرون دعاة الحق قولهم: «أنتم طائشون سفهاء»، وأولى بالسفية الطائش الذي لا يحسن التصرف أن يكل أمره إلى العقلاء، لا أن يضع نفسه في مرتبة الزعماء ومقام الأنبياء، ويدعي أنه رسول جاء ليتحمل مسؤولية الدعوة إلى الله! (قَالَ الْمَلَآءُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ قَوْمِهِ اِنَّا لَنَرٰكَ فِيْ سَفَاهَةٍ وَّاِنَّا لَنَنظُنُّكَ مِنَ الْكٰذِبِيْنَ) (Al-Quran 7:66)، أي في جهالة وحمق!!

و) شتائم أخرى: كقول الملائ من قوم نوح لنبيهم (قَالَ الْمَلَآءُ مِنْ قَوْمِهِ اِنَّا لَنَرٰكَ فِيْ ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ) (Al-Quran 7:60)، وكشتهم المستكبرين من قريش لرسول الإنسانية صلى الله عليه وسلم بقولهم: «ابن أبي كبشة» «أبتر»، «مذمم». وكان قلب امرأة أبي لهب يمتلأ غيظاً وحقداً على محمد صلى الله عليه وسلم وكانت إحدى النساء اللاتي أظهرن عداً سافراً للرسول صلى الله عليه وسلم حتى أنها حاولت اغتياله مرة وفشلت. وكانت تضع الشوك في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتهمه بالفقر، وترجّز، وتقول:

مذمماً أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا وفيها نزل قوله تعالى: (وَأَمْرٰتُهُ حَمَالَةٌ الْحُطْبِ) (Al-Quran 111:4-5)، وقد هتف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من فوق جبل الصفا: وا صباحاه، فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمداً، فاجتمعوا إليه فقال: يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب، فاجتمعوا إليه، فقال: ... أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدّقي؟ قالوا: ما جرّنا عليك كذباً. قال: إيّ نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: «تباً لك، أما جمعنا إلا لهذا» (AL-bayanuniu, 1991) فنزل قوله تعالى: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنٰى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ، سَيَصْلٰى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ) (Al-Quran 111:1-3). وفي شأن العاص بن وائل نزل قوله

تعالى: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) (Al-Quran 108:3). وقد كان كلما ذُكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: دعوه، فإنما هو أبتَر؛ لا عقب له، لو قد مات، لقد انقطع ذكره، واسترحم منه. (Khafaji, 1992)

أما مصطلحات شتائم المستبدين المستكبرين للمصلحين في هذا العصر فما أكثرها، نذكر منها:

«عملاء»، «حونة»، «مرتزقة»، «جواسيس»، «متطرفون»، «إرهابيون»، «متعصبون»، «متنطعون»، «أصوليون»، «دراويش»، «جهلة»، «أميون»، «متخلفون»، «متحجرون»، «رجعيون»، «عشاق سلطة» إلى آخر قائمة السباب والشتائم التي تُطلق في حق الدعاة والمصلحين-المنادين بإعادة الحياة الإسلامية من جديد- لصرف الناس عنهم. وقد كشفت الأيام أن هذه الصفات مارسها المستبدون أنفسهم، ووُصموا بها، وثبتت عليهم.

• الأذى:

ويقصد به كل أنواع العقاب الجسدي من نفي، وسجن، وتعذيب، وإحراق، وقتل، وغير ذلك. إن الهدف من الأذى الذي يتعرض له الرسل والمصلحون هو القضاء على المعارضين، وشل قدراتهم، وصرف الناس عنهم. والحيلة التي تنجح بها الدعاية السلبية هي ادعائهم: كيف بمن ليس بمقدوره صرف الأذى عن نفسه أن يقود الجماهير، ويقدم لها الحماية اللازمة؟!

• التضييق والحصار:

ومن الدعاية السلبية أيضاً محاصرة المصلحين، وتضييق الخناق عليهم؛ رجاء استسلامهم. فقد جاءت مقاطعة قريش لبني هاشم وبني عبد المطلب؛ لتضييق الخناق على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيليبى مطالبها، ويستسلم لشروطها؛ فاتفق رؤوس الكفر على الحصار الاقتصادي، والمقاطعة الاجتماعية؛ فتعاقدوا ألا يتزوجوا منهم، ولا يزوجوا أحداً من بناتهم فيهم، ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يشتروا منهم. وقد كتبت هذه المعاهدة في صحيفة، ثم علقت في جوف الكعبة، لكن الأمور جرت بخلاف ما توقعت قريش، وثبت بنو هاشم وبنو المطلب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين (Al-Bayhaqi, 1984) تحمّلوا فيها - بصلاية - مشقة الحصار الجائر. وخرج رسول

الله صلى الله عليه وسلم من الحصار منتصراً، شامخ الرأس، وخاب ظن القيادة المستكبرة، واستمرت الدعوة إلى الله.

• التعرض للمصلحين بالضرب والأذى:

لا يوقف مسيرة الدعوة المباركة أساليب السخرية والاستهزاء، ولا الشتائم والسباب، فينتقل المستكبرون إلى ما هو أشد وأنكى، ويستخدمون أكثر الوسائل إبلاماً للجسد، وإضعافاً للروح المعنوية.

ويوعظ لوسرل أقرى سم تل لخت دقل، أغى لب آذي عليه وسلم ي ذوأو، تمج تابق ع كذ ذنم و

كسرت رباعيته، وشج وجهه الشريف في أحد. وضع الشوك في طريقه صلى الله عليه وسلم وكانت تفعل ذلك أم جميل بنت حرب زوج أبي لهب.

أمر الصبية والرعاغ برميه بالحجارة، كما كان من أمر أهل الطائف، حيث أغروا به سفهاءهم يرمونه بالحجارة (Ibn-Hisham, 1955).

الأذى برمي القاذورات.

تفل عقبة بن أبي معيط في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم استحابة لطلب صديقه أبي بن خلف. وفيه نزل قوله تعالى (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيِّنُنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْبًا، يُؤَلِّمُنِي لَيْتِنِي لِمَ أَخَذْتُ خَلِيلًا، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا) (Al-Quran 25:27-29).

ومن ذلك أيضاً، ما كان من وثوب فلول القيادة المستكبرة - ذات يوم- على رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبة رجل واحد، فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تسب آهتنا وديننا؟ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، أنا الذي أقول ذلك. فأخذ رجل منهم بمجمع رداء الرسول صلى الله عليه وسلم فقام أبوبكر ييكى ويقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله. يقول عبد الله بن عمرو: فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً نالوا منه قط. (Abul Abbas, No date of publication)

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً، فلم يلقيه أحد من الناس إلا كذبته وأذاه، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله فتدثر من شدة ما أصابه، فأنزل الله تعالى: (يَأْيُهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ، وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ، وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْبِرُ، وَرَبِّكَ فَاصْبِرْ) (Al-Quran 74:1-7).

• الاغتيالات السياسية والتصفية الجسدية:

إن آخر وسائل الهجوم المباشر على دعاة الحق، هو قيام القيادات المستكبرة بمحاولات التصفية الجسدية؛ لتستريح من شر المعارضين لها كلية. لقد دبر أعداء الحق خطة محكمة للتخلص من عيسى - عليه السلام - لولا تدخل العناية الإلهية (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) (Al-Quran 4: 157-158)، فقد فشلت محاولة اغتيال عيسى بن مريم، كما فشلت محاولة قتل إبراهيم - عليهما السلام - من قبل ومحاولات كثيرة أخرى دبرت على مدار التاريخ ضد رواد الإصلاح والصحة الإسلامية. وهناك محاولات نجحت؛ فراح ضحيتها رسل وأنبياء .. ومصلحون أتقياء، فقد اغتيل يحيى، وزكريا - عليهما السلام - واغتيال عمر، وعثمان، وعلي - رضي الله عنهم - واغتيال من المعاصرين حسن البنا، ومالكوم إكس من المسلمين الأمريكيان ذوي الأصول الإفريقية، وحسن خالد مفتي لبنان، وإحسان إلهي ظهير العالم الباكستاني، وضياء الحق رئيس باكستان الصادق، وعبد الله عزام، وأحمد ياسين، وعشرات، بل مئات آخرون، قتلوا غدراً.

محاولات اغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم:

لقد تعرّض رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحاولات اغتيال عديدة، اشتركت فيها كل الأطراف المناوئة لدعوة الإسلام والمتربصة بدولة المدينة من اليهود، والمنافقين، ومشركي مكة.

دوهي لالت واحم (أ)

1. حاول اليهود قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى بني النضير، يستعين بهم في دية العامريين الذين قتلها عمرو بن أمية. فقال بعضهم لبعض: لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن. وانبعثوا ليطرحوا عليه رحي من ظهر البيت، فيستريحون منه.

يروى أن حبي بن أخطب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: اجلس أبا القاسم، نطعمك، ونعطيك مما سألتنا.

فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب حبي يتأمر على قتله عليه وسلم فجاء جبريل وأعلمه بذلك، ونزل قوله تعالى: (يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (Al-Quran 5: 11).

2. ووضعت اليهودية زينب بنت الحارث السمّ في شاة مشوية - وكان أحب الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقدمتها هدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد إسلامها، فأكل منها، وأكل معه الصحابي بشر بن البراء؛ فمات بشر، ومرض رسول الله صلى الله عليه وسلم. وحينما سأله الرسول: ما حملك على ما فعلت؟ قالت: إن كنت نبياً لم يضرك، وإن كنت ملكاً، أرحت الناس منك (Al-Bayhaqi, 1984).

3. وسحره لبيد بن الأعصم، فأبطل الله سحره (Al-Bayhaqi, 1984).

(ب) محاولات مشركي مكة:

1. محاولة أم جميل بنت حرب - زوج أبي لهب - حمالة الحطب، حين أخذت حجراً تريد قتل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو جالس في الكعبة ومعه أبو بكر، حيث وقفت بينهما؛ فأخذ الله على بصرها؛ فلم تر إلا أبا بكر.

2. محاولة عمير بن وهب، وصفوان بن أمية، اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة بدر. ولم تنجح المحاولة.

3. محاولة غورث بن الحارث الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متبذ تحت شجرة وحده نائماً، قال: ما يمنعك مني؟ فقال عليه وسلم: الله. فسقط السيف من يده (Al-Bayhaqi, 1984).

4. محاولة فضالة بن عمير قتل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة؛ فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك، وناداه، واستغفر له، ووضع يده على صدره؛ فأسلم (Ibn-Hisham, 1955).

5. محاولة شيبه بن عثمان الحنفي، فقد أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين، وكان حمزة قد قتل أباه، وعمه، فقال: اليوم أدرك تأري من محمد. فلما دنا منه بسيفه، ارتفع إليه شواظ من نار أسرع من البرق؛ فولى هارباً. وأحسن به الرسول صلى الله عليه وسلم فدعاه، ووضع يده على صدره؛ فأسلم.

6. وتواعد أبو جهم بن حذيفة مع عمر بن الخطاب - وهو يومئذ مشرك - ليلة على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم.
7. وجاء أبو جهل بصخرة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساجدا، وقريش تنظر إليه؛ ليطرحها عليه، فلزقت يداها، ويبستا إلى عنقه، وأقبل يرجع القهقري، ثم سأله أن يدعو له، ففعل؛ فانطلقت يداها. وكان قد حلف لئن رآه ليدمغنه. فسألوه عن شأنه، فذكر أنه عرض له دونه فحل ما رأى مثله قط، هم به أن يأكله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ذاك جبريل لو دنا، لأخذه. (Ibn-Hisham, 1955).
8. وما ورد بشأن خبر عامر بن الطفيل، وأريد بن قيس، حين وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أشغل عنك وجه محمد، فاضربه أنت. فلم يره فعل شيئا، فلما كلمه في ذلك، قال له: والله ما هممت أن أضربه إلا وجدتك بيني وبينه، أفأضربك؟ (Ibn-Hisham, 1955).
9. وروي أن رجلا من بني المغيرة أتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله، فطمس الله على بصره فلم يره، وسمع قوله، فرجع إلى أصحابه، فلم يره حتى نادوه.
10. و هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح؛ ليقتلوا الرسول صلى الله عليه وسلم فأخذوا، وجيء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقهم، وعفا عنهم.
11. والمؤامرة الكبرى لقتل الرسول صلى الله عليه وسلم في ليلة الهجرة، حيث قرروا التخلص منه، فأذن الله له بالهجرة إلى المدينة.
12. وتبعه سراقه بن مالك في طريقه إلى المدينة؛ ليفوز بجائزة قريش. فساخت قوائم فرسه، فنادى بالأمان، فكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا، ووعدته بسواري كسرى (Ibn-Hisham, 1955).

ج) محاولات المنافقين.

عزم جماعة من المنافقين على الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في طريقه من تبوك إلى المدينة، فنجاه الله من شرهم، وكشف له كيدهم (يَحْلِقُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَرٍ وَلَا نَصِيرٍ) (Al-Quran 9)

74): واستمرت القيادة المستكبرة تستخدم كافة أساليب الهجوم المباشر؛ تريد القضاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوته. وبدأ المجرمون يطاردون الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن فرّ من قبضتهم، وأسّس للإسلام دولة في المدينة، رعاياها من المسلمين واليهود. وبعد أن استنفدت كل الوسائل والحيل، ونجا رسول الله صلى الله عليه وسلم من محاولات الاغتيال التي دبرت له، ما كان لقريش أن تترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ينعم بالعيش في يثرب؛ فجعلت تناوشه، وتطارده في عقر داره. فكانت الغزوات والسرايا. وكان وعد الله له (يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (Al-Quran 5 :67).

المقارنة المباشرة

تعني المقارنة المباشرة: قيام القائد السياسي بعقد مقارنة بينه وبين منافسيه في قيادة الجمهور، مع التركيز على منجزاته الشخصية.

يذهب علماء الاتصال والسياسة إلى أن المقارنة المباشرة التي يعقدها القائد السياسي بينه وبين منافسه، تتيح للجمهور فرصة التعرف على ماضي الرجلين، وخبرتهما العملية، ومشاريعهما الإصلاحية، من خلال إبداء «الرأي والرأي الآخر»، ومن ثم تعيين المواطن على اتخاذ قرار إعطاء صوته لمرشح معين دون غيره، كما أن هذه المقارنة المباشرة من شأنها أن تقلل من احتمالية قيام دعاية مضادة لاحقا (Karen, 1997).

إن صح هذا الكلام بعض الشيء في مجتمعات تحترم الإنسان كإنسان، فإنه لا يصح البتة في بيئة بوليسية يكون الإعلام فيها ملكاً للحكام المستبدّين. وكيف يتخذ المواطن قرارا، ويتبنّى فكرة، ويؤيد مشروعاً، وهو لا يرى، ولا يسمع، ولا يقرأ، إلا رأياً واحداً، هو رأي السلطة!؟

يصح هذا القول في بيئة حرية التعبير فيها متاحة للجميع، وتعطي وسائل الإعلام فرصاً متكافئة للمتنافسين؛ ليطرحوا آراءهم، ويعرضوا مشاريعهم السياسية على الجمهور. وعلى الجمهور بعدئذ إعطاء صوته لمن يأنس فيه الكفاءة؛ لكونه صاحب مشروع إيجابي صالح مصلح.

تسعى القيادة السياسية المستكبرة من خلال عقد مقارنة مباشرة بينها وبين الرسل والمصلحين، إلى تغيير الشعوب من المرسلين، ووضع سياج حديدي يحول دون اتصال دعاة الحق بالجماهير؛ ولذلك فإنها تختار الكلمات المنقّرة، التي ما أن تصل إلى مسامع الجماهير، حتى تبتعد عن المصلحين الذين يريدون لها الهداية.

ويقارن القائل المستكبر بينه وبين منافسه: «هو يهتم بالجرمين ويرعاهم، وأنا أهتم بالضحايا (Kathleen, No date of publication) ، هو مفسد خائن يتعامل مع أعداء الوطن وأعداء الشعب. باع أرض الجدد بثمن بخس، وأنا مصلح وفيّ لوطني، كل همّي إصلاح الناس وإعمار الأرض.

وقد تكون المقارنة بعرض صور، يظهر الإعلام المزوّر المرشّح المعارض في صورة منقّرة، (فملاحم وجهه تبعث على السخرية، ويقوم بأعمال تمسّ كرامة الشعب). فقد عرضت إحدى محطات التلفاز الأمريكية صورة للرئيس الكوبي السابق “فيدل كاسترو” وهو يشعل سيجارته، ليس من علبة كبريت، وإنما من عملة ورقية أمريكية أحرقتها، (Kathleen, No date of publication) ؛ وذلك تأليفاً للجمهور الأمريكي ضده. والراجح أن مثل هذا التضليل المبالغ فيه لا يؤدي الغرض منه، بل يأتي بمردود عكسي.

هذا ما تمارسه الأحزاب في دنيا السياسة أثناء الانتخابات، وهو ما تمارسه - وما زالت - القيادات المستكبرة ضد كل من صدق بحق.. أو أمر بتقوى.. أو هدى إلى صراط مستقيم؛ تشويهاً لصورته، وتنفيراً للناس منه، واتهاماً له بأمر هو منها بريء براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام.

في الصفحات التالية، نورد بعضاً من أوجه المقارنات التي تعقدها القيادات المستكبرة بينها وبين الرسل والمصلحين.

مقارنة عقلية وفكرية:

هذه المقارنة بدأها إبليس اللعين ضد آدم عليه السلام، حيث ذكر القرآن على لسانه (قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) (Al-Quran 7:12) واستخدمتها قريش في إثارة

الشكوك في أهلية الرسول صلى الله عليه وسلم في حمل الرسالة، وهو الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، وفيهم من هو أكثر منه خبرة وعلماً بكتب السابقين (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمَلَأَةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ، أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابَ) (AI-Quran 38:7-8) (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ، أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبُّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) (AI-Quran 43:31-32) يقصدون بالقريتين: مكة، والطائف. وأما الرجل الذي يفضلونه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرونه أكثر أهلية لحمل الرسالة بدلاً من محمد صلى الله عليه وسلم ففيه أقوال:

(من مكة)

1. الوليد بن المغيرة.
 2. عتبة بن ربيعة.
- (من الطائف)
1. عروة بن مسعود الثقفي
 2. عمير بن عمرو بن مسعود
 3. مسعود بن عمرو الثقفي
 4. حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي
 5. ابن عبد ياليل الثقفي
 6. كنانة بن عمرو بن عمير الثقفي.

قال ابن عباس في تفسيره لقولهم: «عظيم»، أي جباراً من جبابرة قريش. والظاهر كما يقول ابن كثير أن مرادهم رجل كبير من أي البلدين كان (Ibn Kathir, 1994). وإذا انتقلنا إلى الأقوام السابقين والأمم الغابرة، نجد في هذا الصدد قوله - تعالى - على لسان قوم صالح: (ءَأَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ) (Al-Quran 54:25)؛ استغراباً من اختيار نبي الله صالح، وكأنهم يستهينون به. قالوا: لم ينزل عليه الذكر من بيننا، وفينا من هو أحق منه بأن يوحى إليه؟ فهو كذاب فيما ادعاه، معجب بنفسه، مدّع ما ليس فيه. (Ibn - Ashour, No date of publication) فكان لسان حالهم يقول: كيف خصّ بالرسالة من آل ثمود، وفيهم من هو أكثر مالاً، وأحسن حالاً؟ فالأمر ليس كما يدّعيه، وإنما يريد أن يتعاضم، ويتلمّس التكبر علينا،

من غير استحقاق. (Al- Qurtubi, 1999)

مقارنة بلاغية:

من ذلك احتجاج فرعون بصلاح أمره، وصلاحيته حكمه؛ لأن لسانه مبرأ من العيب الخلقى الذي كان يعاني منه موسى، وقد كان يلثغ وينطق الرء غنيا، فقال تعالى على لسان فرعون: (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) (Al-Quran 43:52) طريد من شعب إسرائيل المهين، غريب ليس من أهل بيوت الشرف في مصر، وليس له أهل يعتز بهم. (Ibn-Ashour, No date of publication) فكيف تغترّ أيها الجمهور الغيبي بمن لا يحسن التعبير عن نفسه، ويعجز عن إفهام الآخرين؟! أراد اللعين "الترويج على رعيته، فإنهم كانوا جهلة أغبياء". (Ibn Kathir, 1994).

مقارنة سياسية:

اعترض بنو إسرائيل على طالوت الذي اختاره الله ملكاً عليهم، وقد سجل القرآن ذلك (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكًا مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (Al-Quran 2:247)؛ لأن طالوت ليس من نسل الملوك، ولا ممن يقودون أقوامهم، فكيف يتوج ملكاً على أحفاد الملوك.. وورثة الجاه والثراء؟! واحتج فرعون بسياساته الظالمة تهديداً لموسى، مقارنة قوته بضعف موسى وقومه (قَالَ أَمْنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كُفُّمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ وَلَا أَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّيَأْ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى) (Al-Quran 20:71).

مقارنة اقتصادية:

وبلغ من كفر اليهود أن قارنوا أنفسهم المريضة كبرا وغرورا بالله، فقال القرآن على لسانهم: (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْآبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَتَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) (Al-Quran 3:181). قال حيي بن أخطب لما سمع قوله تعالى (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ

قَرْضًا حَسَنًا فَيُضِعَّهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (Al-Quran 2:245): إنما يستقرض الفقير من الغني. وورد أن القائل هو فنحاص بن عازوراء، قال لأبي بكر الصديق حين دعاه: ما بنا حاجة إلى الله، وإنه إلينا لفقير، ولو كان غنيا، لما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم. (Ibn - Ashour, No date of publication)

مقارنة اجتماعية:

إن غرور أهل الباطل بسلطتهم، يجعلهم ينظرون إلى المؤمنين بأنهم دونهم في المكانة الاجتماعية، وأن الأمة تحت أقدامهم (فَقَالَ الْمَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا تَرَكْ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا تَرَكْ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا تَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرُكُمْ كَذِبِينَ) (Al-Quran 11:27)، أي اتبعك الفقراء الذين لا وزن لهم ولا قيمة في مجتمعهم (Al-Laham, 1987)؛ لكونك جئت بأمر تافه لا يرقى إلى مستوى فهم الأغنياء والعظماء.

وبلا استثناء، فإن جميع رؤساء أحزاب المجتمع المدني المعاصر— من ذوي النزعات المادية العلمانية— يغدّون هذه الناحية، ويدفعون بأنصارهم بهذا الاتجاه، فالكل يسعى إلى أصوات الناخبين، وكما يُنتخب القائد، فإن عليه أن يضخم نفسه، ويحقر المنافسين له.

إن طبيعة الأحزاب السياسية تتطلب عملاً إعلامياً ضخماً، وجهداً كبيراً، يضمن لها الفوز في الانتخابات، وهذا يتوقف على مدى استجابة الشعب، واقتناعه ببرامج الأحزاب، وبالقيادات المرشحة. وما دام الإعلام يوظف توظيفاً غير عادل، فمن الصعب امتلاك الجمهور للحقيقة الواقعة؛ لأن الأحزاب السياسية تتنافس في كسب أصوات الجماهير، والفوز بذلك يرتبط بشروط أربعة، كما يرى الدكتور حامد ربيع - رحمه الله:-

أولاً: التنظيم الدائم المستمر.

ثانياً: السعي نحو اكتساب المرشحين أو المصوّتين.

ثالثاً: خلق الإقناع العقائدي والفكري.

رابعاً: تحقيق عملية الاتصال بين الحاكم والمحكوم.

(Rabie, 1975)

فمن خلال هذه الأنواع من المقارنات، يمكن إيصال الأفكار، والأنماط الاجتماعية، والمشروعات السياسية، إلى الأمة.

المقارنة الضمنية

تختلف المقارنة الضمنية عن المقارنة المباشرة في كونها لا تذكر أسماء المرشحين المعارضين (Karen, 1997). بعد تعداد المرشح لخبراته، ومناقبه، وتضخيم مشاريعه الإصلاحية، فإنه يترك الاستنتاج والتحليل للجمهور الذي يُفترض فيه أن يتخذ قرار التصويت بناءً على المعلومات المتاحة.

إن النتيجة المتوخاة من هذه المقارنة غير المباشرة، هي جذب الجماهير إلى القائد المستكبر؛ لتوقر صفات العظمة فيه، وتفوقه على نده السياسي عسكرياً، وسياسياً، واجتماعياً، واقتصادياً.

مقارنة سياسية وعسكرية:

أراد فرعون أن يضلّل الجماهير من خلال عقد مقارنة بينه وبين موسى - عليه السلام - لكن بأسلوب ضمني (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (Al-Quran 43:51)، فقد عرف فرعون كيف يلعب بأوتار قلوب الجماهير المستعبدة المستغفلة، التي تستهويها الأحلام الزائفة، ويغريها البريق الخادع القريب من عيونها؛ مظهر فرعون في أمته .. والأهوار تجري من تحته. أما القلوب المؤمنة فتسمو قلوبها وعقولها إلى تدبّر ملك الله العريض البعيد.. فلا يخدعها مُلك فرعون الصغير الزهيد (Kotb, 1995).

إن القيادة المستكبرة من قوم عاد قامت بعقد مقارنة - تلميحا لا تصريحاً - بينها وبين نبيّ الله هود عليه السلام (فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) (Al-Quran 41:15)

فادّعوا أن ليس ثمة من يضاھيهم في القوة والعظمة. أما الملائكة من حاشية بلقيس - ملكة سبأ - فقد (قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْوَئِ شَرِّدٍ وَالْأَمْرِ إِلَيْكَ فَانظُرْ مَاذَا تَأْمُرِينَ) (Al-Quran 27:33)؛ اغتراراً بقوة الأجسام .. وقوة

الآلات (Al-Razi, 1992)، واكتمال المعدات الحربية، وإبرازاً لمعاني النجدة، والثبات في الحروب، والبسالة في المعارك.

مقارنة اجتماعية واقتصادية:

ضلّل فرعون الجماهير حين خاطب موسى معدداً آلاءه عليه (قَالَ أَلَمْ نُنزِّلْكَ فِيْنَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِيْنَا مِن عُمُرِكَ سِنِينَ، وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ) (Al-Quran 26:18-19) أي ربيناك صغيراً، ولم نقلك من جملة من قتلنا. (Al-Qurtubi, 1999) فأنت حقير لا حول لك ولا قوة، ربيتك إذ كنت صغيراً لقيطاً، وتدّعي النبوة اليوم، وأن هناك إلهاً يعبد من دوني؟! فالمقارنة هنا تتضمن أن المرئي أفضل بطبيعة الحال من المرئي، وأن صاحب المنّ بعدم القتل - مع القدرة عليه - أعلى شأنًا من الحقير الممنون عليه. وأما إصدار الحكم: أي الرجلين أعلى شأنًا، فرعون أم موسى؟! فتلك قضية متروكة للجماهير.

إن القيادة المستكبرة تغرّها مكانتها، ويعجبها سلطانها، وعدتها، وعددها (وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّبِينَ) (Al-Quran 34:35) أي فضلنا عليكم بالمال والأولاد، ولو لم يكن ريكم راضياً بما نحن عليه من الدين والفضل لم يحوّلنا ذلك (Al-Qurtubi, 1999)، فنحن أكثر أموالاً، وأولاداً؛ للزومنا ديننا. (Al-Razi, 1992) قمة في التزييف والتضليل.

إن المستكبرين يستدلّون بما أعطاهم الله - تعالى - من أموال، وأولاد، على صلاحهم ونجاتهم من العذاب؛ جهلاً منهم بسنة الله في العطاء والمنع، فالله هو المعطي والمنع، يعطي من يحب، ومن لا يحب؛ فلا يكون المال دليلاً على صلاح صاحبه ورضى الله عنه (Zidane, 1976) (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ) (Al-Quran 42:20)

الخاتمة والتوصيات:

إن الملائكة الذين استكبروا من كل قوم، وفي كل عصر، مهما تنوّعت أساليبهم في التضليل الإعلامي، فإنهم يرمون ويسعون إلى إبعاد الجماهير عن الرسل والمصلحين،

وكسبهم في صقهم، والاحتفاظ بالمناصب التي يجارون من أجلها.

لقد سجل كتاب الله الخالد، سبقاً في العلوم والمعارف والفنون، فهو أساس كل حضارة، وأصل كل علم، وقد سبق القرآن الكريم كل العلوم الحديثة، ومنها فن الإعلام، وعلم الاتصال، في تناوله لوسائل وأساليب الاتصال الجماهيري، والدعاية السياسية السلبية، والهجوم على الأنبياء والمصلحين، ومن ذلك ما تقوم به القيادات المستكبرة في كل عصر من الهجوم المباشر على رؤوس الإصلاح ورموز التغيير؛ تسفيهاً، أو همزاً، أو لمزاً، أو رمياً بالجنون والسحر والكهانة، أو استخدام القوة ضد الأنبياء والمصلحين، أو التهديد بها، أو التضييق والحصار الاقتصادي، أو التهديد بالطرد والإبعاد، ومنه أيضاً عقد مقارنة مباشرة أو ضمنية؛ الغرض منها تحطيم الخصوم السياسيين، وإبراز مساوئهم؛ بغية إبعاد الناس عنهم، ومن ثم القيام بعمليات غسيل المخ؛ لإحكام السيطرة على عقول الشعوب.

لمواجهة هذا التضليل، ولكشف أساليب ووسائل الدعاية السياسية السلبية، فإن القرآن لا ينفك يدعو أتباعه إلى استخدام العقل، وعدم الانصياع إلى أقاويل المرجفين، وإشاعات المبطلين، وتهديدات المستبدّين المستكبرين؛ فالحق أحق أن يتبع.

لقد توصلنا من خلال هذه الوريقات المختصرة، إلى أن القيادات المستبدة لا تألو جهداً في محاربة الحق وأهله، بكل ما أوتيت من قوة، وما توافر لديها من وسائل وأساليب، ورأينا أن الإعلام سلاح ذو حدين، فقد كان وسيظل الفيصل في تزييف الحقائق، وتميع القضايا الرئيسة للشعوب، وفي تعرية خبث المستبدّين، وكشف تلاعبهم بالعقول. ومما يوصى به في هذا البحث: توعية الجماهير، وإطلاعها على الحقائق، واستخدام وسائل الإعلام فيما يفيد الشعوب الإسلامية، ويسهم في نهضتها، والقيام بدورها الحضاري، لا أن يستغل أبشع استغلال، ويتحوّل إلى أبواق للقيادات المستبدة، وتحطيم القيم والمثل الفاضلة، أو تشويه سمعة المصلحين، والظعن في براجمهم، والتشكيك في نواياهم. وهذا هو ما عرضه القرآن الكريم عن التضليل الإعلامي الذي كانت تمارسه

القيادات المستكبرة في عصر النبوة، وفي كل العصور السابقة واللاحقة.

References

Al-Qur'En al-Kar'Em.

Øafwat al-ÑÓlam (2005), al-Itti'Él al-Siy'Es'É wa al-Di'ÑÉyah al-Intikh'Ébiyyah. Cairo: DÉR al-Nah'lah al-ÑArabiyyah.

Aḥmad bin al-Ḥusayn bin 'Alī bin Mūsā al-Khusrawjirdī al-Khurasānī, AbūBakr al-Bayhaqī, (1405/1985), Dalā'il al-Nubuwwa wa Ma'rifati Aḥwāl Ṣāhib al-Sharī'ah, Beirut: Dāral-Kutub al-ÑIlmiyyah.

Al-Bayhaqī, Ahmead Ibn Al-Husain Ibn Ali (1984), Dalaiel al-Nubuwwah Wa Ma'rifat Ahwal Sahib al-Shari'ah. Beirut: DÉR al-Kutub al-ÑArabiyyah.

Al-Qur'ub'É, Mu'ammad bin A'Imad (1999), al-J'Émi'Ñ li A'ík'Ém al-Qur'En. Cairo: DÉR al-Fikr li al-Ùib'É'Ñah wa al-Nashr wa al-Tawz'É'Ñ.

Muḥammad ÑAI'É al-ØÉb'Én'É (no date), Øafwah al-Taf'És'Ér. Jakarta: DÉR al-Kutub al-Isl'Émiyyah li al-Ùib'É'Ñah wa al-Nashr wa al-Tawz'É'Ñ.

Al-ÑAb'Éd'É, ÑAbd al-Ra'Iman Dawud, (no date) Qi'Il'ah al-S'Érah al-Nabawiyyah-S'Érah wa al-Da'Ñwah (al-ÑAhd al-Makk'É). Jordan: DÉR al-Naf'É'is li al-Nashr wa al-Tawz'É'Ñ.

Al-Bay'Én'Én'É, Mu'ammad, ÑAbd al-Fat'Í (1991) al-Madkhal il'É ÑIilm al-Da'Ñwah. Beirut: Mu'assasah al-Ris'Élah.

Al-RÉz'É, Fakhr al-D'Én Mu'ammad bin ÑUmar (1992), Maf'Ét'ÉÍ al-Ghayb aw al-Taf'Ésir al-Kab'Ér. Cairo: DÉR al-Ghadd al-ÑArabiyy.

Ab'É ÑAbb'És, Mu'ammad ÑAI'É (no date) al-Ra'Imah al-Mahd'Éh-Mu'ammad Ras'Él All'Éh Øall'É All'Éh Ñalaih wa Sallama. Cairo: Maktabath al-Zuhar'É'.

Ibn HishĒm (1955) al-SĒrah al-Nabawiyyah. Musfa al-Saqqa. Cairo: Sharikat Maktabat wa Matbaat Mustafa al-Babi al-Ālabi wa Awladuhu Bimisir.

Ibn KathĒr, AbĒ FidĒÒ (1994) TafsĒr al-QurĒn al-ŃAĎĒm. Husayn bin IbrĒhĒm ZuhrĒn. Beirut: DĒr al-Fikr.

KhafĒjĒ, ŃAbd al-MunŃim (1992) al-TafsĒr al-IŃĪĒmĒ li al-SĒrah al-Nabawiyyah, Beirut: DĒr al-JĒl, 2nd Edition.

Ibn ŃAshĒr, MuĀammad al-ŪĒhir (no date) al-TafsĒr al-TaĀrĒr wa al-TanwĒr. Tunisia: al-DĒr al-TĒnisiyyah li al-Nashr.

Al-LiĀĒm, SaĒd MuĀammad (1987) al-QaĀĀ al-QurĒn al-KarĒm, DĒr wa Maktabah al-HilĒl.

RabĒŃ, ×Ēmid (1975) al-NamĒzaj al-IsrĒĒliyyĒt li al-MumĒrasah al-IsrĒĒliyyĒt. Al-MunaĎĎamah al-ŃArabiyyah li Tarbiyyah wa al-ThaqĒfah wa ŃUIĒm, MaŃhad al-BuhĒth wa al-DirĒsĒt al-ŃArabiyyah.

Qutub, Sayyid (1995) FĒ ŪilĒl al-QurĒn. Cairo: DĒr al-ShurĒq. 11th Edition.

Seiler, William J. (2002). Communication: Making Connctions. Boston: Allyn & Baccon.

Severin, Werner J. (1997). Communication Theories: Origins, Methods, and Uses in Mass Media. Longman Publishers, USA.